

المثل السائر

ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقىهم رجل من العرب فقال ممن القوم ؟ فقال النبي (من ماء) فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء لينظر أي بطون العرب يقال لها ماء فسار النبي لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء .

وقد جاءني شيء من ذلك من الكلام المنثور .

فمنه ما كتبه في فصل من كتاب عند دخولي إلى بلاد الروم أصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر في خلفه والدمع في طرفه وربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجفه أن يجري بوصفها لشمس مأسورة والنار مقرورة والأرض شهباء غير أنها حولية لم ترض ومسيلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تخص .

ومكان المغالطة من هذا الكلام في قولي (والأرض شهباء غير أنها حولية لم ترض) فإن الشهباء من الخيل يقال فيها حولية أي لها حول ويقال أنها مروضة أي ذلت للركوب وهذه الأرض مضى للثلج عليها حول فهي شهباء حولية وقولي " لم ترض " أي لم تسلك بعد . ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريمفقلت ولقد نزلت منه بمهلب الصنع أحنفى الأخلاق ولقيته فكأنني لم أرى ممن أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للأهل والوطن حتى أقول إني قد استبدلت به أهلا ووطنا وعهدي بالأيام وهي من الإحسان فاطمة فاستولدتها بجواره حسنا .

وهذه تورية لطيفة فإن فاطمة بنت رسول الله ﷺ والحسن B هما ولدها وفاطمة هي اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهي فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن هو الشيء الحسن .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت